

تغير المناخ والنزوح

نشرة الهجرة القسرية ٣١

تعميم معلومات مخاطر تغير المناخ

مارتن فان آلتست

يلعب التواصل في قضايا تغير المناخ دوراً حيوياً في إدارة مخاطر الكوارث بفعالية.

المعلومات عن تلك المخاطر المتغيرة ومواجهتها بدلاً من التأهب للكوارث التي شهدناها في الماضي، أو انتظار الاستجابة للكوارث التي يتزايد عددها زيادة مطردة.

وقد أثبتت الأعمال الرائدة التي يقوم بها الصليب الأحمر في ساموا أن التكيف مع تغير المناخ في منطقة المحيط الهادي لا يعني مجرد بناء جدران بحرية باهظة

فوق التلال وعلى السواحل لمواجهة الانهيارات الأرضية وارتفاع الأمواج. وفي الواقع، لا يختلف العديد من هذه الاستراتيجيات الخاصة بالتكيف مع تغير المناخ عن إدارة المخاطر التقليدية. ولا يكمن الفرق المهم بينهما في المخرجات بقدر ما يكمن في العملية؛ إذ أنه في ظل المناخ المتغير يتعين علينا إعادة تقييم أنماط المخاطر وتوصيل

إن المخاطر الكارثية التي يشكلها تغير المناخ آخذة في التزايد، ولا سيما بالنسبة للأشخاص الأكثر ضعفاً. وبدلاً من الشروع في تنفيذ برامج جديدة لمواجهة هذه المخاطر الجديدة في حد ذاتها، يتمثل التحدي في دمجها في أعمالنا الإنسانية. ويحتاج المجتمع الدولي إلى أن يدرك ويتفهم حقيقة أن الطرق التقليدية للتفكير في الاستجابة للكوارث

لم تعد ملائمة للتطبيق. إذ أن التأهب للأخطار الطبيعية والحد منها والاستجابة لها هو ما يقوم به العاملون في المجال الإنساني بالفعل، وذلك بالتعاون مع الأشخاص الأكثر تعرضاً للخطر. ولكن في مواجهة تغير المناخ علينا أن نبذل المزيد من الجهد، وأن نبذله بشكل أكثر ذكاءً، فنتحول من الاستجابة للمخاطر ونستفيد من المعلومات المناخية ذات الصلة.

ربما تكمن الحلول في أنظمة الإنذار المبكر، أو المساكن المقاومة للعواصف، أو المحاصيل البديلة التي تستطيع النمو في التربة الزراعية التي تزيد بها نسبة الملوحة بسبب تسرب المياه نتيجة ارتفاع مستويات البحار أو الفيضانات الساحلية. أو قد تكمن في التدابير الشائعة: تعليم الأطفال كيفية التصرف في حالات الطوارئ، ووضع خطط الإجراء، وتشكيل فرق العمل، وتحديد طرق الفرار، ووضع جداول زمنية خاصة بالكوارث، وزراعة الأشجار



الفائز في مسابقة إعداد ملصقات عن تغير المناخ في المدارس في نيكاراغوا، ٢٠٠٦، التي نظمتها جمعية الصليب الأحمر في نيكاراغوا.

التكلفة. إذ تبدأ العملية بالاتصال الداخلي وإعادة تقييم الأولويات وإعادة التفكير في الاستراتيجيات والمناهج.

عند البدء في تناول هذه المشكلة، قام ماكا سابولو، المسؤول المعني بالتأهب للكوارث وتغير المناخ لدى جمعية الصليب الأحمر في ساموا، بقيادة ورش عمل شارك فيها عاملون ومتطوعون يعيشون في الجزيرتين الرئيسيتين في ساموا. إذ أنهم أجروا مناقشة حول ما المقصود بتغير المناخ، وماذا يعني تغير المناخ لسكان الجزيرتين، وكيف يمكن للصليب الأحمر المساعدة في مواجهته، وبعد ذلك التقوا بقيادة المجتمع والحكومة لمناقشة كيفية دمج تغير المناخ ضمن إدارة الكوارث. وقد أسفرت هذه العملية عن عقد اتصالات جديدة مع إدارات الأرصاد الجوية والبيئة والصحة والمكتب الوطني لإدارة الكوارث وهيئة المياه والمنظمات غير الحكومية. وسرعان ما وُجدت مخاوف مشتركة بشأن مشكلات منها النقص المتزايد في المياه. كما أن دولة ساموا تحتفظ ببعض أقدم سجلات الطقس في منطقة المحيط الهادي وهي تُظهر زيادة مطردة في درجة الحرارة وانخفاض في سقوط الأمطار. وقد أكدت المحادثات التي تعقد داخل المجتمع أن ندرة المياه أصبحت مشكلة كبرى، وأن الإدارات الحكومية أعطت هذا الموضوع أولوية قصوى.

وكانت إحدى الخطوات الأكثر عملية التي اتخذتها الجمعية الوطنية للصليب الأحمر هي تقديم المساعدة في تفسير المعلومات المتعلقة بالأرصاد الجوية والإنذارات الخاصة بالطقس. إذ أن كل قرية من قرى ساموا تقريباً يختلف فيها تعريف اتجاهات الشمال والجنوب والشرق والغرب، مما يجعل من الصعوبة إلى حد ما إصدار إنذارات مبكرة أو توجيه الأفراد إلى أماكن المأوى عند وقوع حدوث حالة من حالات الطوارئ. ويعكف الصليب الأحمر في ساموا الآن على المساعدة في تفسير معلومات الأرصاد الجوية والإنذارات الخاصة بالطقس.

لقد نظّم الصليب الأحمر في ساموا مسابقات للأعمال الدرامية وعروض العرائس وإعداد الملصقات، حيث تضمنت موضوعي تغير المناخ والحد من مخاطر الكوارث. كما أعدت بعض جمعيات الصليب الأحمر الأخرى في منطقة المحيط الهادي، كتلك الموجودة في جزر سليمان وتوفالو، مسابقات لإعداد الملصقات حول هذا الموضوع.

وقد أدت التطورات الأخيرة في العلوم والتقنية إلى نمو ملحوظ في وضع التنبؤات التي يمكن أن تساعد في تخفيف الآثار السلبية للظروف المتوقعة. ومع هذه التنبؤات التي تتراوح من تنبؤات موسمية بهبوب رياح موسمية شديدة إلى تحولات في أنماط سقوط الأمطار نتيجة تغير المناخ، تواجه الإنسانية تحديين جديدين: ليس فقط التأهب لمواجهة المناخ الذي يمكن التنبؤ به،

بل أيضاً تعديل عمليات اتخاذ القرار بحيث تتضمن إمكانية توافر معلومات جديدة.

التنبؤ لا يكفي

يتعين على الناس أن يفهموا الإنذارات وأن يثقوا بها، ولا بد أن يمتلكوا القدرة على الاستجابة بطريقة ملائمة. ففي عام ٢٠٠٠، شهد حوض نهر ليمبوبو في جنوبي إفريقيا سقوط أمطار شديدة الغزارة استمرت لعدة أيام نتيجة هبوب أعاصير غير معتادة. وقد أدرك الخبراء أن ذلك سيؤدي إلى فيضان شديد - بشكل لم تشهده المجتمعات الريفية في موزمبيق من قبل. ومع ذلك لم يعلم بهذا الفيضان سوى عدد قليل جدا من القرى.

ولم يتوفر الكهرباء أو أجهزة الراديو في معظم القرى، غير أن الناس كانوا يستطيعون فيما سبق التنبؤ بالفيضانات بملاحظة حركة النمل. إذ يبني النمل بيوته تحت الأرض، وعندما يرتفع مستوى المياه الجوفية، يغادر النمل أعشاشه - وعندئذ يعلم الناس أن مستوى المياه أخذ في الارتفاع. أما في هذه الحالة فقد أي الفيضان بسرعة إلى درجة أنه لم يكن هناك وقت لارتفاع مستوى المياه تحت الأرض أو تحرك النمل قبل فيضان مياه النهر. وعندما توجه أحد الأشخاص ممن علموا بتنبؤات الخبراء بسيارته إلى قرية معينة ليحذر أهلها ويطلب منهم إخلاء القرية، سأله رئيس القرية: «من أنت ولماذا ينبغي أن أفعل ما تقول؟ فقد اعتدنا منذ أيام أجدادنا أن الفيضانات لا تحدث إلا بعد أن يغادر النمل بيوته. ولكن النمل لا يتحرك الآن وأنت تطلب مني أن أغادر قريتي؟»

ومثلما حدث في معظم أنحاء وادي ليمبوبو، فإن العديد من الناس لم يغادروا القرية، مما أسفر عن غرق حوالي ٧٠٠ شخص. فالمناخ العالمي يتغير وتتزايد عدم الثقة في المعلومات التقليدية لأن خبراتنا الماضية لا تنطبق بالضرورة على المخاطر الحالية والمستقبلية. وفي ضوء ذلك، يتمثل الحل في تعلم كيفية توصيل المعلومات الجديدة عن الظروف المستقبلية بطرق يمكن فهمها والثوق بها.

ورغم أن معظم الناس في المجتمعات الضعيفة قد شهدوا بالفعل أحداثاً قاسية غير معتادة، فإنهم غالباً ما يفسرون هذه الأحداث بأن وراءها قوى خارقة للطبيعة، فهم يفسرون هذه الأحداث على أنها نوع من العقاب الإلهي أو غضب حل بهم من الأجداد. ويؤدي هذا النوع من التفسير إلى اعتقاد أن الأمور إما ستعود سريعاً إلى طبيعتها أو أنه لا بد من التسليم بالقضاء والقدر وعدم التحرك. ففي إحدى ورش العمل التي نظمها الصليب الأحمر، قالت سيدة تعيش في موزمبيق وتعمل بالفلاحة: «إذا أراد الرب أن يعاقبني، سيعاقبني مهما فعلت».

إلا أنه يمكن تغيير هذا الشكل من التفكير عن طريق توصيل المعلومات الجديدة. فقد قالت نفس السيدة بعد أن تعلمت أبسط أساسيات عملية تغير المناخ وشاهدت

فيلم فيديو قصير يتناول آثار الفيضانات الأكثر تكراراً في الأرجنتين وبنغلاديش: «كنت أعتقد أن المجتمع الذي أعيش فيه هو الوحيد الذي عوقب بهذه الشدة، وأن هذا لن يحدث مرة أخرى. ولكني أرى الآن النساء في جميع أنحاء العالم يعانين بطرق مشابهة؛ ولذلك قد يكون هناك تغير حقيقي في الأمطار حالياً ومستقبلاً، وربما أستطيع أن أفعل شيئاً إزاء ذلك».

والآن يستخدم نظام الإنذار بالأعاصير الذي أعدته حكومة موزمبيق نظاماً يعتمد على شفرة الألوان بعلامات تشير إلى اقتراب حدوث الأعاصير. وقد ساعد الصليب الأحمر في موزمبيق في تصميم هذا النظام وتنفيذه، حيث طرح أسئلة على التجمعات السكانية حول طرق التنبؤ التقليدية وزودهم بمعلومات عن طرق التنبؤ الجديدة. وأنشئ نظام يمكن فهمه بسهولة يعتمد على الأجهزة اللاسلكية والأعلام والصفيير لنشر الإنذارات. كما تم تحديد طرق الفرار وغيرها من خيارات الاستجابة ونشرها على مستوى المجتمع. وقد ساهم هذا الأمر إلى حد بعيد في تقليل حجم الخسائر البشرية أثناء الأعاصير الشديدة التي اجتاحت البلاد بعد ذلك.

تم تنظيم عدد من الأنشطة في فعاليات منتدى حول تغير المناخ في كولومبيا. وقام أطفال المدارس في قريتين بتأليف وتمثيل مسرحية تتناول تغير المناخ. كما صنع طلاب الاتصالات بجامعة هافيريانا لافتات وأعدوا مواد للأطفال لتعريفهم بمهية تغير المناخ وما يستطيع الأطفال فعله للمساهمة في منع تغير المناخ ومواجهة مخاطر الكوارث المتزايدة. ونظم الطلاب أيضاً عرضاً للعرائس حقق نجاحاً باهراً يصورون فيه الأرض على أنها شخص مريض ارتفعت درجة حرارته. يتوفر نص المسرحية، وموسيقاها، باللغة الأسبانية لدى مركز المناخ التابع للصليب الأحمر/الهلال الأحمر.

سيظل تغير المناخ يلازمنا وهو يزيد بالفعل من صعوبة الأعمال الإنسانية. ومن المتوقع أن تزداد الأمور سوءاً. لذا علينا أن ننسم بالذكاء والكفاءة، ليس لمواكبة التغيرات فحسب بل أيضاً للتنبؤ بها قبل حدوثها.

مارتن فان آلست (MvanAlst@redcross.nl)

و المدير المشارك وخبير قضايا تغير المناخ في مركز الصليب/الهلال الأحمر لقضايا المناخ وتعتمد هذه المقالة على دليل المناخ الصادر عن الصليب الأحمر/الهلال الأحمر والذي أعده كل من مارتن فان آلست، وما دالين هلمر، وكارولين دي جونج، وفلور موناسو، وإليك فان سلويس، وبابلو سواريز، نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٧. الإصدار الكامل متوفر على الإنترنت على الموقع:

www.climatecentre.org